الفصل الخامس
المرأة عند اليهود

قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

إنَّ هؤلاء اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه ويفترون افتراءات كثيرة على النساء وعلى غيرهن، ومن هـٰذه الافتراءات أنهم يحمِّلون المرأة جميع المصائب التي وقعت على البشرية، فإنها المسؤولة عن إخراج آدم عليه السلام من الجنة، ويعتقدون في شريعتهم أن الشيطان جاء إليها على شكل حيةٍ رقطاء أخذ يزين لها الأمر فغوت وأكلت من الشجرة، فكان ذلك سبباً في تعاسة البشر جميعاً.

ومن هـٰذا المنطلق الديني انعكست تعاليم اليهود باضطهادٍ واضحٍ تجاه المرأة فهم يتعاملون معها بحذرٍ وشك، بل وباحتقارٍ في كثيرٍ من المواضع، والعقيدة عندهم أن الرب سأل آدم: (هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب للمرأة: تكفيراً سأكثر أتعاب حملك، بالوجع تلدين أولاداً)[1].

وهـٰذا منطقٌ عجيبٌ فعلاً إذ لا تراه ينسجم مع المنطق السليم، فإذا افترضنا جدلاً أن هـٰذه الرواية هي رواية حقيقية، وأن الشيطان جاء بصورة حية رقطاء فأغوى حواء عليها السلام، فمن المعروف أن الأفعى عنصر تنفير للبشر وليست عنصر تحبيب من أجل أن يستعملها الشيطان كوسيلة من وسائل الإقناع والغواية، وفي حالةٍ ثانية قامت حواء عليها السلام بقطف التفاحة من الشجرة

---

(١) سفر التكوين ـ الإصحاح الثالث.

فقدمتها إلى آدم ، وقد علم آدم أن الله حرَّم عليه أساساً أن يقرب هـٰذه الشجرة ويأكل من ثمرها ، فما الذي دفع آدم عليه السلام أن يأكل من ثمرها؟ فإذا كان الدافع أنه لا يعلم أصلاً أن هـٰذه الثمرة من تلك الشجرة فلا يعتبر قد أخطأ أصلاً ، وباعتباره لم يخطئ فإن الله لن يحمّله تبيعة خطأ غيره ، وإن كان يعلم أن تلك الثمرة هي من تلك الشجرة التي حرَّم الله عليهما الاقتراب منها ثم أكل منها فيعتبر شريكاً متضامناً مع حواء عليها السلام ، هـٰذه النظرة المنطقية التي نستطيع أن نتعامل من خلالها مع هـٰذه الحادثة ، ويجب على كل يهودي يمتلك بقايا من العقل والمنطق أن يسأل نفسه هـٰذا السؤال.

فترى أن هؤلاء لا يخضعون أنفسهم لأي نوع من أنواع المنطق ، بل ولا يحمِّلون أنفسهم مجرد مشقة التفكير العلمي ، فإنهم بطبيعة الحال يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وهم المميزون على سائر الخلائق ، بل إنهم ينظرون إلى الخلائق على أنها حيوانات خلقت بشكل بشر من أجل أن تقدم الخدمة اللائقة لبني إسرائيل ، ونتيجة لاحتقار هؤلاء اليهود للمرأة ، فقد افتروا عليها افتراءات كثيرة ولم يقدسوا التوراة بحيث إنهم ينزهونها عن هـٰذه القاذورات ، بل جعلوا توراتهم سلة لكل هـٰذه القاذورات مع تنزيهنا وتشريفنا التوراة الحقيقية الكريمة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ، وإنما نقصد بهـذه السلة التوراة المحرفة التي كتبها شياطين هؤلاء اليهود ، ومن هـٰذه النماذج النص التوراتي التالي:

(وصعد لوط صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر ، فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة: إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلمي نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت مع أبي ونسقيه خمراً الليلة فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً فسقتاه خمراً في تلك الليلة أيضاً ، وقامت

الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتاه من أبيهما)[1].

ومن خلال هـٰذا الافتراء ترى أن قوم لوط بحد ذاتهم والذين كانوا يأتون الرجال دون النساء شهوة إذا اجتمعوا ليكيدوا للوط عليه السلام لن يجدوا أكثر من هـٰذه الرواية لتشفي صدورهم، ولكن قد حمل اليهود هـٰذا الكيد كله ونسبوه إلى نبي كريم شريف يوحى إليه من لدن عليم خبير ، إن إساءتهم إلى لوط عليه السلام والمس في عرضه واتهام بناته بالفاحشة والزنى ، لا يعتبر افتراء على لوط فحسب ، بل يعتبر وقاحة وتجرؤاً على مقام الربوبية ذاتها ، فلا ننظر إلى لوط باعتباره عنصراً بشرياً طبيعياً ، فجميع البشر يعرضون لجميع المخاطر ، ولكن نظرتنا للوط عليه السلام كرسول من لدن الله عز وجل ، والله عزَّ وجل يحمي رسله ويعظمهم ويشرفهم عن كل هـٰذه الدناسات ، وإلا لما تم اختيار الله عزَّ وجل لهـذا الرجل ليحمله رسالة سماوية ، فليس الغضب نابعاً من كونهم افتروا على نبي كريم شريف فحسب، بل إن الغضب يمتد ليتجاوز ذلك بافترائهم على عرش الربوبية ذاته.

ولا عجب بأن هؤلاء اليهود يفترون على الله افتراءات مباشرة ، ومن ذلك القصة المعروفة التي جرت في عهد رسول الله ﷺ عندما دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مدراس اليهود[2] فقال لهم: (ألم يأن لكم يا بني إسرائيل أن تعبدوا الله وحده ولا تخشوا غيره؟ وتؤمنوا بما جاء به محمد ﷺ؟ فأجابوه: والله يا أبا بكر إن الله لفقير وإنَّا للأغنياء ، وإنه يتقرب إلينا أكثر مما نتقرب إليه! فما كان من أبي بكر الصديق إلا أن أخذ منه الغضب كل مأخذ فضربه على رأسه ضربة شجَّ بها رأسه ، فما كان من هـٰذا الحبر اليهودي إلا أن خرج والدم يسيل من رأسه متوجهاً إلى رسول الله ﷺ فيقول له: انظر يا محمد ما فعل بي صاحبك ، فبعث رسول الله ﷺ إلى أبي بكرٍ الصديق فقال: يا رسول الله ، لقد قالوا بالله قولةً عظيمة ، قالوا: إنَّ الله فقير! فأخذ يقسم هـٰذا اليهودي القذر

---

(١) سفر التكوين ـ الإصحاح التاسع عشر.

(٢) المدراس: هو المكان الذي يتدارسون فيه التوراة.

اليمين تلو اليمين والعظيم تلو العظيم، أنه لم يقل ذلك)[1] ، فأنزل الله عز وجل تصديق أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ومن أشكال احتقار اليهود للمرأة أنهم لا يأكلون من يدها ، ولا يسمحون لها أصلاً بأن تمس أوعية الطعام التي سيأكلون فيها أثناء فترة حيضها ، ولا أن ينام الرجل معها في فراش واحد ، فينظر إليها باعتبارها كائناً نجساً في هٰذه المرحلة ، واقترابه منها أو اقترابها من طعامه أو شرابه يؤدي إلى تلوثه وهو رجل طاهر لا يريد أن يلوث نفسه بالنجاسة ، فانظر إلى هٰذا الاحتقار الذي تعاني منه المرأة اليهودية ، وقارن ذلك بأحكام الفقه الإسلامي الذي جاء يعظِّم من المرأة ويكرمها. ففي حال كون المرأة حائضاً يبيح لزوجها أن يأكل من طعامها ويشرب من شرابها ، بل إنه يغتسل معها في إناءٍ واحد كما كان رسول الله ﷺ يفعل مع عائشة ـ رضي الله عنها ـ وأبيح لهم أن يقتربوا من النساء ما دون الجماع كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتَّزرَ في فور حيضها ثم يباشرها. قالت: وأيكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ يملك إربه»[2].

عندما ترى مثل هٰذه التعاليم في الشريعة الإسلامية تعلم أنها تعاليم صدرت عن خالق السماوات والأرض ، وعندما تشاهد هٰذه التعاليم الدينية اليهودية تعلم أنها من كتابة بشر؛ لأن الله عزَّ وجل لا يحتقر إنساناً لشيء هو خلقه فيه إنما تحتقر المرأة في مقاييس الشريعة الإسلامية في حال كونها ساقطة أخلاقياً أو خائنة أو سارقة أو عاصية ناشز ، أما ما دون ذلك من الأمور الطبيعية والفيزيولوجية التي تتعرض لها المرأة فلا تحتقر بسببها ، فالمرأة والرجل على

---

(١) سيرة ابن هشام ـ ج (١ ، ٢) ـ ص: ٥٥٨.

(٢) صحيح البخاري: ج١ ـ برقم ٢٩٦.

السواء إنما يستحقان الاحتقار في حال تجاوزهم الشريعة الإسلامية وفي حال اعتدائهم على حرمات الله وحرمات الناس ، أما ما دون ذلك فإنهم يستحقون كل تكريم دون تفريق بين امرأة ورجل في هٰذا المقام ، فلم يحتقر الإسلام سمية (أم عمار) رضي الله عنهم أجمعين ، بل نالت كل تعظيم واحترام وتقدير وقداسة ، وفي ذات المقام تم احتقار أبي لهب ـ وهو من أكبر زعماء قريش ـ احتقاراً شديداً ، بل لم يقف الأمر عند ذلك فنزل بشأنه قرآن يتلى إلى قيام الساعة ، وهٰذه الآيات تجسد احتقار ذلك الرجل العاصي منذ أن نزلت إلى أن تقع الواقعة ، فلم ينظر في هٰذا المقام إلى أنوثة أو ذكورة إنما كان المقياس الوحيد هو الطاعة والعصيان ، فقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١ ـ ٥].

ولم يقف الأمر عند هؤلاء اليهود باحتقارهم للمرأة فحسب بل إنهم يحتقرون المرأة اليهودية ويحتقرون جميع الخلائق الغير إسرائيلية رجالاً ونساء على السواء ، ومن ذلك ما جاء في «بروتوكولات حكماء صهيون»: (إن الكويم[1] مخبولون باستعمال الكحول وشبانهم ينزلقون نحو البلادة الفكرية بسبب استغراقهم في الدراسات الكلاسيكية ، وبسبب السيئات التي اقتيدوا إليها عن طريق عملائنا من معلمين وخدم ومربيات في بيوت الأغنياء ، وعلى أيدي الموظفين وغيرهم ، وبالتالي على أيدي نسائنا في مجال لهو الكويم ، ومن بين هؤلاء الأخيرات أذكر ما يسمى بسيدات المجتمع ومثيلاتهن الراغبات في الفساد والترف)[2] ، ومن خلال ما تقدم يتبين لك أنهم يسمون الخلائق جميعاً (الغوييم) ، وهٰذه تسمية يعنون بها ـ كما قلنا سابقاً ـ أن هؤلاء قد خلقوا ليكونوا خدماً لبني إسرائيل ، وأنهم لا يجدون في دمائهم وأموالهم وأعراضهم

---

(١) هم جميع البشر غير الإسرائيليين الذين يعتبرهم اليهود حيوانات خلقوا على شكل بشر من أجل أن يتمكنوا من خدمة بني إسرائيل.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون ـ بيروت ـ دار النفائس ـ تقديم الدكتور إحسان حقي ـ ط ١ ـ سنة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م ـ ص: ٣٦.

حرجاً ، فيقتنصون كل ما تصل إليه أيديهم ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران : ٧٥]

وفي قوله تعالى : ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ كما يفهمها بنو إسرائيل جميع الأمم ما عدا اليهود ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أبناء الأمم الأخرى الذين يدخلون في الديانة اليهودية لا يحظون بكرامة اليهودي الذي ينتمي بنسبه إلى بني إسرائيل ، ولا يستحق المعاملة اللائقة التي يتعاملون بها مع أبناء جلدتهم ، وتلاحظ من خلال هـٰذه التفرقة وذلك المنطق أن القضية في نظرهم لا تعتبر دينية فحسب ، بل إنّ جذورها ضاربة في صميم العنصرية ، فإذا كان الموضوع مجرد دين ، فما الحرج في دخول فرنسي في الديانة اليهودية أن يعامل معاملة اليهود الإسرائيليين؟

إن الحرج كل الحرج في منطقهم وشريعتهم أن هـٰذا الرجل لا يتمتع بدم إسرائيلي ، وبالتالي فلا يستحق الكرامة الإنسانية في نظرهم.

ومن خلال هـٰذه اللمحة الموجزة التي ذكرنا فيها واقع المرأة عند كثير من الأمم تعلم أن المرأة قد ظلمت ظلماً شديداً في كثير من الحضارات ، وحتى فيما يُسمى الأديان السماوية التي جاءت تنصف المرأة والرجل على السواء ، طالتها أيدي التحريف والتزوير وأعيدت المرأة إلى العبودية ، ولكن في هـٰذه المرة من منطلق ديني ، والحمد لله عز وجل الذي تولى بنفسه حفظ الشريعة الإسلامية من التحريف والتبديل ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩].

فلو أن الحفظ قد أوكل إلى أمة العرب أو الأمة الإسلامية لكان مصير القرآن الكريم كمصير الكتب السماوية التي سبقته ، ولكن فضل الله يعمّ هـٰذه الأمة بل يعم البشرية جمعاء ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣].

فهـذا الذي سيبقى نورا ساطعاً مستمراً إلى آن يرث الله الأرض ومن عليها ، ليكون حجة على الكافرين ونورا وشفاعة وهداية للمؤمنين ، ومما يدل على

ذلك بشكل واضح ويقيني قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، وقول رسول الله ﷺ:

«يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشأم فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لَدَخَلَتْهُ عليه حتى تقبضه، قال: سمعتها من رسول الله ﷺ قال: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌّ رزقهم، حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً» قال: «وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله» قال: «فيصعق ويصعق الناس»[1].

* * *

(١) صحيح مسلم: ج٤ ـ برقم ٢٩٤٠.